حول إنشاء مدينة تاوخيرا الأثرية

(توكرة)

فؤاد بن طاهر
قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة عمر المختار

إن الدارس لتاريخ مدينة تاوخيرا الأثرية *Taucheira* (توكرة) ، يلاحظ أن المصادر الأدبية القديمة التي تحدثنا عن إنشاء هذه المدينة قليلة ومبهمة ، والأهم من ذلك كله أنها متناقضة .

إن أول نص قديم ذكر فيه اسم المدينة وله علاقة بإنشائها نجده في سرد للمؤرخ القديم هيرودوت ، الذي أخبرنا بأن هذه المدينة تنتمي إلى الباركيين *Barceens*[1] أي أهل مدينة برقة *ΓΙΟλις της βαρκαιης* . من ناحية أخرى فإن بندار يذكر في بوثيتة الرابعة ، أن توكرة قد أنشأها كيريني *Cyrene* (شحات)[2]. هذا في واقع الأمر هي كل المعطيات التي يمكن أن نستقيها من المصادر الأدبية القديمة عن إنشاء مدينة توكرة ، وما من شك فإننا عندما نقارن بين ما جاء في الرواية التاريخية لهيرودوت ، وما ورد عند بندار يستوقفنا الاختلاف الكلي بين النصين .

إن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، حيث إننا نجد ذات الاختلاف في الرأي لدى العلماء المعاصرين ، فبعضاً منهم وخاصة كريلنج ، نجده يتفق مع ما كتبه هيرودوت ، حيث يقول : إنه من الأكثر منطقياً الأخذ بما جاء عند هيرودوت ، وأن نفترض أن توكرة قد أنشأها مستوطنين من برقة ، وذلك بدافع استغلال موارد السهل الساحلي الذي تقع فيه مدينة توكرة . إن ذلك أفضل من الأخذ بما ذكره الفيلسوف التاريخي بندار الذي يقول : إن توكرة قد أنشأها كيريني (Cyrene) .

"It is more logical to assume than Taucheira was settled by people of Barca to exploit the resources of the coastal plain to follow the scholiast to pindar (Pythian Ode 4-26) and make it a foundation of Cyrene"[1].

---

(1) *Herodote, Histoires, IV, 171.*

(2) *Pindari, Pyth Ode, IV, 26.*

(1) *C. H. Kraeling, Ptolemais, city of the Libyan pentapolis, note 11, p.3: cf. H. R. wright, "Fxcavations at Tocra" Palestine Fxploration Quarterly, 95, 1962.p.23.*

"إنه من المنطقي أن نتبع الفكرة القائلة أن توكرة قد أقامها شعب برقة لاستغلال مواردها الموجودة على السهل الساحلي أكثر من أن نتبع شارح أشعار بندار (قصيدة 4-26) الذي يقول أن توكرة قد أنشأها كيريني" .

غير أننا إذا سلمنا بالتسلسل التاريخي للأحداث كما وردت عند هيرودوت ؛ يتضح أن مدينة برقة قد أقيمت في عهد الملك أركسلاوس الثاني (القوي) حيث يخبرنا هيرودوت أن أركسيلاوس الثاني ، قد أثار عدة نزاعات شديدة مع إخوته في بداية ملكه ، وبسبب تلك التزاعات ترك أخوته وتابعيهم مدينة كيريني وتوجهوا إلى الغرب وأنشأوا مدينة باركي *Barcae* (المرج)(2) ، وحيث أن أركسيلاوس الثاني قد ورث العرش عن أبيه باتوس الثاني، الذي كان قد هزم الجيش المصري بقيادة الفرعون ابرياس في معركة أيراسا *Irasa* عام 570 ق.م(3) ؛ فإن إنشاء مدينة برقة طبقاً لتاريخ هيرودوت قد حدث بعد عام 570 ، حيث يمكن القول أن ذلك قد حدث تقريباً بين عامي 560– 550 ق.م . وهكذا فإنه إذا ما سلمنا بأن باركي هي من أسست توكرة ، فإن ذلك يعني أن هذا الحدث قد تم بعد هذا التاريخ ، أي بعد عام 550 ق.م .

أما بالنسبة للآخرين الذين يتفقون مع رأي بندار القائل بأن توكرة قد أنشأها كيريني ، فإنهم لا يقدمون أية دلائل على ذلك ، وفي ذلك ما يشير إلى أنهم قد قبلوا ما ذكره بندار على علاته(1) .

(2)*Herodote, op. cit, 160.*

(3)*F. Chamoux, Cyrene sous la monarchie des Battiades, Paris, 1953, p.136.*

(1)*Jean-Raymond Pacho, Relation d'un voyage dans la Marmarique, la Cyrenaique et les oasis de Audjelah et de Maradeh, Paris, 1827, p.185; Douglas I. Johnson, Jabal al –Akhdar, Cyrenaica; An historical Geography of settlement and Livelihood, Chicago, 1973, p.100-101: J.Boardman and J. Hayes, Excavations at Tocra 1963-1965. The archaic deposis I, The British School of archacology at Athens, supplementary Volume No. 4, p.13.*

وإذا ما طرحنا جانبا المصادر الأدبية القديمة وانتقلنا إلى الشواهد المادية ، فإننا نجد أنه قد تم بالمصادفة اكتشاف كميات كبيرة من الأواني الفخارية القديمة بالقرب من شاطئ مدينة توكرة ، وقد بينت عمليات التنقيب التي توالت على هذا المكان فيما بين عامي (1963–1965) والتي قام بها ج. بوردمان و ج. هيز أن أقدم الأواني الفخارية التي تم العثور عليها في موقع مدينة توكرة ، ترجع إلى حوالي عام 620 ق.م[2] . وهذا يعني أن إنشاء توكرة قد حدث بعد إنشاء كيريني بفترة وجيزة ، إذ أن تاريخ إنشاء كيريني المتعارف عليه والمقبول من قبل كل المتخصصين والمدعم بالشواهد الأثرية ، يرجع إلى 631 ق.م تقريباً ، وهكذا يتضح أن توكرة قد أنشئت بعد عشر سنوات تقريباً من استيطان الإغريق في كيريني ، مما يعني بأن باركي ليس لها علاقة بإنشاء توكرة .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن التحريات الأثرية وأعمال التنقيب التي تمت على طول السهل الساحلي لإقليم كيرينايكا ، قد أثبت أنه ليست فقط توكرة ، بل هناك أماكن أخرى كانت قد استوطنت من قبل الأغريق قبل إنشاء برقة ، منها على سبيل المثال بتوليمايس *Ptolimais* (طلميثة) التي استوطنها الأغريق قبل إنشاء باركي ، بخمسون عام على الأقل ، هذا إذا ما سلمنا بأن ما أورده هيرودوت عن إنشاء باركي بمثابة حقيقة مؤكدة[1].

لا يفوتنا أن نذكر هنا أن التحريات الأثرية وأعمال التنقيب المنظمة في موقع مدينة باركي القديمة ، لم تبدأ إلا مؤخراً ، ويرجع الفضل في ذلك إلى مصلحة الآثار الليبية، وجمعية الدراسات الليبية ببريطانيا ، التي أوكلت مهمة التنقيب في هذا الموقع إلى فريق إنجليزي – ليبي برئاسة جون دور المتخصص في الفخار الكلاسيكي (الإغريقي- الروماني) . وقد أجريت بالفعل خلال الفترة ما بين 1989–1992 أربعة مواسم من التنقيبات الأثرية التي

[2] *J. Boardman, and J. Hayes, Iden.*

[1] *J. Boardman, "Evidence for the dating of Greek settlements in Cyrenaica" The annual of the British School at Athens. Vol. 61, 1966, pp.153-156.*

أثبتت في مجملها أن أقدم الأواني الفخارية الإغريقية التي تم العثور عليها في المستويات الأكثر انخفاضاً ، لا ترجع بتاريخها إلى أكثر من عام 520 ق.م[2].

يحذونا أمل كبير في ان تزودنا حفريات مستقبلية معلومات أكثر دقة عن تـــاريخ إنشاء باركي ، ولكن إذا ما تبين من خلالها أن أقدم الأواني الفخارية لا تعود إلى ما قبل عام 570 ق.م ، فإن الجملة التي وردت في كتاب هيرودوت التي تقـــول أن "تـــوكرة تنتمـــي للباركيين" ، يمكن تفسيرها على أن توكرة توجد في إقليم يقع تحت سيطرة مدينة باركي.

لقد أثبت ف. شامو أنه حوالي عام 440 ق.م ، أي قبل مجيء هيرودوت لكيريني بفترة وجيزة ، أن كيرينايكا كانت مقسمة بين ثلاث مدن إغريقية كبرى ، هي كيريـــني وباركي ويوسبريدس (بنغازي) وعدد من القبائل الليبية ، وكل منها تهيمن علـــى منطقـــة بعينها ، وكانت باركي تسيطر على كل المنطقة الممتدة من حدود كيريني الغربية إلى ما بعد توكرة[1] .

علينا الآن أن نعمق هذه الدراسة أكثر وأكثر حول إنشاء مدينة توكرة . لقد سبق وان بينا أن الشواهد المادية ، قد برهنت على أن موقع المدينة قد استوطن من قبل الإغريـــق خلال الربع الأخير من القرن السابع ق.م . إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو، من كان أولئك الذين استوطنوا موقع المدينة ؟ هل كانوا حقاً من كيريني كما يعتقد البعض ؟[2] .

يحدثنا هيرودوت أن مرافقي باتوس *Battos* لم يأتوا إلى ليبيا إلا على متن سفينتين من ذوات المجاديف ، مما يعني أن عددهم كان قليلاً ، إذ أن ف. شامو ، برهن على أن سفن

---

[2] *J.N.Dore, "El-Merj (Anient Barca) A summary report on the 1989 season" Libyan Studies, Vol 21, 1990, p.19-22.....,"Excavation at "El-Merj (Ancient Barca); a first report on the 1990 season", Libyan Studies, Vol 22, 1991, p 91-105, "Excavations at El-Merj (ancient Barca); a first report on the 1991" Libyan Studies, Vol 23, 1992, p.101-105; J.N.Dore, J.S.Rowan and J.P. Davidson, "Fieldwork at El-Merj (Ancient Barca); a first report on the 1992 season", Libyan Studies, Vol. 24, 1993, p117-120.*

[1] *F. Chamoux, op. cit, p225.*

[2] انظر علاه ، الهامش (6) .

المجاديف التي جاءت بهم إلى ليبيا ، لم يكن بوسع الواحدة منها أن تنقل أكثر مـــن مائـــة شخص ، أي أن عدد الأشخاص الذين كانوا على متنها لا يزيد بأي حال من الأحوال على المائتين[3] . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هيرودوت أشار إلى أن سكان كيريني خلال زمن باتوس المؤسس لمدينة كيريني الذي حكم لمدة أربعون عام ، ومن بعـــده ابنـــه أركيسيلاوس الذي دام حكمه لمدة ستة عشر عاماً ، لم يزد عدد ســـكان كيريـــني علـــى المهاجرين . أو بمعنى أصح المستعمرين الأوائل[4] . ونحن من ناحيتنا نتفق تماماً مع وجهة نظر ف . شامو الذي استنتج أنه من الصعب التسليم بأن المهاجرين الأوائل وهم قليلي العدد ، كان باستطاعتهم بناء صروح كيريني العظيمة التي يرجع تاريخها إلى الفترة ما بـــين (631-580) ق.م دون أن يكونوا قد دعموا بعناصر جديدة[1] .

في واقع الأمر ، نحن من جانبنا نرى أنه حتى لو سلمنا بأنه لبناء كيريني كان قـــد ساعدهم في ذلك سكان البلاد الأصليين وهم الليبيون ، يبقى السؤال الذي يظـــل يطـــرح نفسه ، وهو كيف يمكن لنا أن نقبل منطقياً أن نفس المهاجرين الأوائل ، بالرغم من قلـــة عددهم كان في مقدورهم في مدة من الزمن هي عشر سنوات من الوجود الاستعماري ، أن ينتقلوا لمسافة 130 كم إلى الغرب من كيريني ، وذلك لإنشاء مستعمرة جديدة ؟ ألا وهـــي توكرة .

من المهم التذكير هنا أيضاً أن الدراسات التي تمت على الأواني الفخارية التي جمعت من مواقع أخرى ، على سبيل المثال من بتوليمايوس وأبولونيا ، أثبتت أن هـــذه الأمـــاكن كانت قد استوطنت من قبل الإغريق منذ نهاية القرن السابع ق.م إن لم يكن قبـــل ذلـــك بقليل[2] . ومن هنا فإن عملية التوسع وإقامة مستعمرات جديدة في كيرينايكا ، لا يمكن أن

[3] *F. Chamoux, op. cit, pp. 114,128.*

[4] *Herodote, op. cit.159.*

[1] *F. Chamoux, op. cit. pp. 128-129.*

[2] *J. Boardman, "Evidence for the dating of Greek settlements in Cyrenaica" p.156.*

يعزى بأي حال إلى المهاجرين الأوائل ، بل أن ذلك يؤكد على مجيء أمواج أخـــرى مـــن المستعمرين الإغريق إلى هذه المنطقة لاحقين بالمهاجرين الأوائل بعد فترة قصيرة من الزمن ، ربما بتحفيز من مهاجري كيريني الأوائل . إن كثرة وتنوع الأواني الفخارية التي تم جمعهـــا ودراستها من مدن كيريناكيا ، خاصة تلك التي عثر عليها في حرم الربتين ديميتر وكوري في مدينة كيريني ، أثبت بطريقة مؤكدة تدفق مهاجرين جدد إلى كيرينايكا بعد إنشاء كيريني عام 631 ق.م بفترة وجيزة . لقد أشارت الدراسات الدقيقة إلى أن تلك الأواني الفخاريـــة كانت من مصادر مختلفة ، مما يؤكد على وجود عناصر جديدة من أصول مختلفة .

في الحقيقة إن العثور على الأواني الفخارية ، لا يساعدنا فقط على تحديد تـــواريخ إنشاء المدن ، بل كما نعلم جيداً يعطينا معلومات أخرى غاية في الأهميـــة ، إذ أن الأواني الفخارية التي يتم العثور عليها ، والتي تنتمي إلى أشكال وطرز مختلفة تعكس دون أدنى شك وجود ممارسات تجارية بين المدن الإغريقية اليونانية ، خاصة بين مدن المستعمرات الإغريقية ومدن الوطن الأم ، أي المدن الإغريقية الأصيلة التي أنشأت تلك المستعمرات خارج بـــلاد الإغريق .

إن التوافق بين الأواني المستخدمة في إحدى المستعمرات وتلك التي يستخدمها أهل المدينة الأم ، ليس فيه فقط إشارة إلى وجود تجارة بين الأم وابنتها ، بل في ذلـــك تلمـــيح صريح لأصل ســـكان تلـــك المســـتعمرة . إن إجـــراء دراســـات حـــول مثـــل هـــذا التوافق ، قد أثبتت فعاليتها بنجاح كبير على الأواني الفخارية التي عثر عليها في كيريني على سبيل المثال[1].

إن الدراسات المقارنة التي أجريت على الأواني الفخارية الإغريقية الآرخية Archaic (بمعنى العصر العتيق المحصور بين 720–480 ق.م) التي عثر عليها في حرمي ديميتر وكـــوري

[1] *G. p. Schaus, The extra-mural sanctuary of Demeter and Persephone at Cyrene, Libya. Vol. 11: The East Greek, Iland, and Laconian pottery, University Museum Monograph 56, University of Pennsylvania, Philadelphia1985 pp.3-4.*

الموجودين في كل من تاوخيرا وكيريني ، قد بينت أن الأواني اللاكونية ذات الصورة السوداء وأواني جزيرتي رودس وخيوس الأكثر قدماً وغيرها من الأواني المختلفة من شـرق بـلاد الإغريق ، بما في ذلك أواني جنوب أيونيا المسماة (Buccheros) وأيضاً أواني جزيرة كريت متشابه جداً وبطريقة ملحوظة في كلا الموقعين ، ولكن بالرغم من هذا التشابه أو التجانس ، إلا أنه توجد اختلافات ذات أهمية خاصة ومغزى كبير ، لقد عثر في حرم ديميتر وكوري في كيريني على أواني أخرى مستوردة من أماكن أخرى من بلاد الإغريق ، ولم نعثـر علـى مثيلاتها في حرم ديميتر وكوري في مدينة توكرة . من أهمها أواني من شرق بـلاد اليونـان متضمنة تلك ذات الطراز الأوني الشمالي المعروفة باسم (Clazomenien) وأواني (Fikellura) الميليتية ، ومن ناحية أخرى فإنه وجد في توكرة ، عدد كبير من مجموعات الأواني المستوردة من جزر السيكلاديس ، مثل جزيرة ميليتوس وباروس وسيفينوس ، وكذلك أواني أخـرى من بويوتيا وشقف من أرجوس لم يعثر عليها في كيريني[1] .

وفي الحقيقة فإن الأواني الفخارية الخاصة بجزر السيكلاديس لا نجـدها خـارج منطقتها الأصلية إلا نادراً[2] . وجزيرة ثاسوس هي إحدى جزر بحر إيجة التي كانـت قـد استعمرت من قبل جزيرة باروس حوالي عام 680 ق.م[3] ، وهي أكثر الجزر التي وجـدت أوانيها بأعداد كبيرة في توكرة[4] . إن وجود الأواني الخاصة بجزر السيكلاديس في توكرة، دليل قوي على وجود علاقات تجارية مع توكرة .

---

[1] *Ibid. pp. 106-107.*

[2] *Ibid. p. 107: J. Boardman and J. Hayes, Excavations at Tocra 1963-1965. The archaic deposits I. p.73.*

[3] *M. Cary and J. Boardman, "Thasos" The Oxford Classical Dictionary, 2nd edition 1970, (editor) N.G.L. Hamond &H.H. Scullard, Great Britain, p. 1051.*

[4] *J. Boardman and J. Hayes, Fxcavations at Tocra 1963-1965. The archaic deposits. I. p.73, cf note I.*

إن كل الاعتبارات التي أشرنا إليها ، تقودنا إلى الاعتقاد كما يقـــول شـــاوس إن شعوب جزر السيكلاديس ، ربما كانوا يمثلون جـــزءاً مـــن المهـــاجرين الـــذين أسســـوا توكرة ، مثلهم في ذلك مثل المهاجرين الذين أتوا من لاكونيا[1] .

مما تقدم ، يمكن القول أن برقة لم تلعب أي دور في إنشاء توكرة ، وكذلك الحال بالنسبة لكيريني ، فهي الأخرى لم تكن مسئولة بشكل مباشر عن إنشاء هذه المدينة ، بمعنى أنه يمكننا اعتبار نجاح قيام مستعمرة كيريني بمثابة الحافز القوي الذي أدى إلى تشجيع نزوج مستعمرين جدد نشأت على أيديهم مدينة توكرة ، وعليه فإنه على الأكثر ترجيحاً أن تكون توكرة قد أنشئت من قبل مستعمرين إغريق أتوا من جزر بحر إيجة ، ومنهم من هـــم مـــن جزيرة ثاموس على وجه الخصوص . كما يبدو واضحاً من خلال هذه الدراسة أن المصادر الأدبية قد لا تتفق مع الشواهد المادية ، وستظل الكلمة الأخيرة دائماً للمعول الأثري .

[1] *G. P. Schaus, op. cit. p.108.*